

عبادة الملائكة من دون الله

الحاصل: أن النبي صلى الله عليه وسلم سمي أولئك المشركين كلهم مشركين، لأنهم يعبدون معبدات متفرقة، ولم يستثن الذين يعبدون الملائكة، فذكر الله تعالى أنهم يعبدون الملائكة، فقال تعالى: { وَيَوْمَ يَحْسُرُهُمْ حَمِيعًا إِنَّمَا يَقُولُ لِلملائكة أَهُؤُلَاءِ إِنَّكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ } يعني: هؤلاء كانوا يعبدونكم؟ فتبرأ الملائكة منهم ومن عبادتهم، وقالوا: { قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلَيْسَا مِنْ دُونِهِمْ بِلَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ } أي يعني: أن الشياطين هي التي أغوتهم، وهي التي أوقعتهم بما عبدوا من دون الله. ولهذا ذكر ابن القيم في الجواب الكافي: أن كل من عبد غير الله فإن عبادته تقع للشياطين، ما عبد من عبد غير الله سوى الشيطان. واستدلوا أيضاً بأنه لما نزل قول الله تعالى: { إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ إِنَّمَا لَهَا وَارِدُونَ } قال المشركون: نحن نعبد الملائكة، ونعبد الصالحين، واليهود يعبدون العزير والنصارى يعبدون عيسى أفهموا يا محمد كلهم من حصب جهنم؟! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: { إنما يعبدون حقيقة الشيطان } والشيطان هو الذي سول لهم، وأملأ لهم الشيطان هو الذي دعاهم، إلى أن وقعوا فيما وقعوا فيه من هذه الشركيات، فلذلك يكونون غباداً للشيطان، والشياطين تعذب معهم، يشاهدون الشيطان، ويشاهدون إيليس وذرته معهم. كما حكى الله تعالى في خطبة الشيطان بقوله: { وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَهُ قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَقْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْيُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي } إلى آخر الآية. فدل على أن الشياطين تقرن بهم، فيكون ذلك يعني: { إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ } لا أن الملائكة يعبدون معهم، ولا أن الصالحين والأنبياء الذين أصلحوا أعمالهم لله لا أنهم يعبدون، وإنما العذاب لهؤلاء المشركين، ولمن أضلهم من الشياطين. قال الله تعالى: { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْبَنا الَّذِينَ أَضَلَّنَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسَنَ حَجَّلُهُمْ مَا تَحْتَ أَفَدَمِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ } . قيل: من الجن: الشيطان إيليس، ومن الإنس: شياطين الإنس. وقيل: أول من دعا إلى الشرك وأضل به المشركين، إنهم يقولون ربنا أربنا اللذين أضلنا من الجن والإنس. ومع ذلك فإنهم لا يخفف ذلك عنهم من العذاب، كما قال تعالى: { وَلَنِ يَفْعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ طَلَمْتُمْ أَنْكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ } يعني: كونهم يشترون مع من أضلواهم، لا يخفف ذلك من عذابهم. وقد ذكر الله تعالى أن المشركين يتحجون بأن الذين أضلواهم هم الآباء والأسلاف والأجداد والসادة والأكابر، كما في قوله: { وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا بِسَادَتَنَا وَكَبِيرَاتَنَا فَأَضَلَّوْنَا السَّبِيلَ رَبَّنَا أَتَهُمْ ضَعَفُينَ مِنَ الْعَدَابِ وَالعُذُولَةِ لَعْنَاهُمْ كَبِيرًا } ومثلها أيضاً قول الله تعالى: { قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ لَا وَلَهُمْ رَبَّنَا هُؤُلَاءِ أَضَلَّوْنَا فَأَتَهُمْ عَذَابًا ضَعَفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضَعْفٍ } ومثلها قول الله تعالى: { وَأَقْبَلَ بَعْصُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْوِلُنَا عَنِ الْيَمِينِ } إلى قوله: { فَإِنَّهُمْ بَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ } . فالحاصل أن المشركين الأولين ما نفعتهم عبادتهم للملائكة، ولا عبادتهم للسادة والأولياء والأنبياء والصالحين ونحوهم، ولكنها أضرتهم وأصبحوا بذلك مشركين. والنبي صلى الله عليه وسلم لم يفرق بين النصارى وبين المشركين القبوريين، أو المشركين الوثنين وسمى الجميع مشركين.